- وقفة مع المؤتمر الفلسفي الخامس –

م.م. سلام عبد الجليل حسين
كلية الآداب – الجامعة المستنصرية

في تواريخ الفكر الانساني، تلعب الفلسفة دوراً متميزاً، فهي لا تصمت ولا تقف الا اذا تحجر المحيط الذي تنتمي اليه – افراد وجماعات – لأنها وبكل بساطة تمثل الفكر الانساني الذي لا يمل من الاكتشاف والابتكار ومن المغامرات الفكرية، وعلى هذا الاساس تنشط وتتقدم المجتمعات .
بهذه الكلمات المضيئة والرائعة صدرت اللجنة المنظمة للمؤتمر الفلسفي الخامس المجلد الأول من الأعمال الكاملة لذلك المؤتمر الذي حمل عنوان (الفلسفة والعلوم الانسانية والطبيعية) والذي انعقد بعد جهود متواصلة في (٢٢ – ٢٣ / ١١ / ٢٠١١ م) .

وقد شكلت اعمال ذلك المؤتمر تنوعاً فكرياً كبيراً من خلال جملة من البحوث في عدة موضوعات يصب قسم منها في حل اشكالات يعيشها بلدنا وعالمنا العربي والاسلامي، ويمتد قسمها الاخر الى اعماق تراثنا الفكري الاصيل منقباً عما هو جديد فيه، باحثاً عن احياء افكار لا غنى عنها من اجل اصلاح حياة تجاوزت حدود الفوضى .

فمع محاضرة الافتتاح لذلك المؤتمر تتضح لنا الرؤية العميقة لما هو ضروري من اجل تثقيف مجتمعاتنا، فتزامناً مع ثورات الربيع العربي، ومحاولة البعض حرف تلك الثورات عن اهدافها وادلجتها في حدود طائفية أو عنصرية ضيقة أو محاولة اسقاط البعض لها بوصفها بالعمالة، يقدم لنا الدكتور (جبار الرفاعي / رئيس مركز دراسات فلسفة الدين في العراق) دراسة مستفيضة عن (لاهوت التحرير عند علي شريعتي وحسن حنفي)، مبيناً في تلك الدراسة كيف كان الاسلام ولا يزال منبع الالهام المحوري الذي استقت منه حركات المقاومة في بلداننا رحيق جهادها، ومؤكداً بأن العقائد والمفاهيم الدينية ليست مجردة، أو متعالية على الواقع، وعابرة للزمان والمكان، بل إنها تتلامس ببنية المجتمعات وتكوينها، وطبيعة التمثلات الاجتماعية وتنوعها وعلاقتها بالزمان والمكان والمحيط والمتغيرات والثوابت في التأريخ .

ثم نوقشت في أعمال المؤتمر الاخرى ثلاث محاور فكرية إنقسمت على ثلاث جلسات، ضمت كل جلسة منها عدة موضوعات تربطها جذور مشتركة .

اشتملت الجلسة الاولى على خمسة بحوث شكلت محور الدراسات في الفلسفة الاسلامية والفكر العربي المعاصر، كان أول هذه البحوث لشيخ الفلسفة في قسمنا العزيز، الاستاذ الدكتور (علي حسين الجابري)، تحت عنوان (الخطيب الغرناطي بين علم العمران ومحنة العرفان / دراسة فلسفية لنظريته في الحب الالهي)، وقد كان هذا البحث ذا أهمية كبرى من عدة جوانب، فهو لم يشكل دراسة لشخصية قل تداولها في الاوساط الاكاديمية فحسب، بل سلط الضوء أيضاً على جزء مهم من تاريخ الدولة الاسلامية في شرقها وغربها إنقلبت فيه المعايير الاخلاقية والسياسية وطالت سطوة سيوف الساسة رقاب اقلام المفكرين .

أما البحث الثاني فقد قدمه رئيس قسم الفلسفة في كلية الآداب / الجامعة المستنصرية، (أ . م . د . علي عبد الهادي) المرهج تحت عنوان (نقد مشروع النهضة العربية وعلاقة المثقف بالسلطة، قراءة في كتابات الطهطاوي)، هذا البحث كان ذو عبارة مكثفة وتحرك في مساحة واسعة في فكر الطهطاوي شملت ابرز آرائه على اختلاف موضوعاتها من حيث العلاقة بالغرب أو مفهوم المواطنة أو رأي الطهطاوي في الاديان الأخرى وموقفه من الدين بوجه عام وغيرها ولكن الأهم من جميع ذلك بنظري هو تأشير تلك الاشكالية الكبرى وحصر جميع مشاكل الحياة العربية والاسلامية المهيمنة على الثقافة والسياسة فيها، هذه الاشكالية هي العلاقة بين السلطة والدين والمثقف والمجتمع وما انعكس بسبب الفهم الخاطئ لحكم السلطان بل وحتى الخليفة من مساوئ كبرى على حياة المجتمعات الاسلامية منذ سقوط الدولة العباسية .

وقد شكل البحث الثالث دراسة تحليلية لمفهوم المجتمع الفاضل عند ابن خلدون انطلاقاً من مسلمة تأسيسه لعلم الاجتماع مروراً بالقيم الانسانية لذلك المجتمع و دور التربية فيه وموقع النفس الانسانية وامكاناتها ومفهوم الحاكم الفاضل انتهاءً بمفهوم السعادة وكيفية تحقيقها، وقد اشترك في تقديم هذا البحث كل من (أ . م . د . حسن حمود الطائي، و . م . م . شيماء طه حمودي) وهما من الباحثين المميزين في قسم الفلسفة بكليتنا .

أما البحث الرابع من هذه الجلسة فقد كان عن اخوان الصفاء وتحديداً في فلسفتهم الاخلاقية في مفهومي (اللذة والألم) وكيف وظف الاخوان التراث في آرائهم وأين كانت مواطن الابداع والاصالة عندهم وقد قدم هذا البحث من قبل الضيف المبدع (د. مهدي طه مكي) التدريسي في كلية الآداب / جامعة بابل أما مسك الختام فقد تقدم

به ضيف عزيز آخر وهو (د. منذر جلوب يونس) من قسم الفلسفة في كلية الآداب / جامعة الكوفة في بحث سلط فيه الضوء على ظاهرة الزهد في القرنين الأول والثاني الهجريين في الكوفة وأبعادها الدينية والسياسية والسيكولوجية .

أما المحور الثاني الذي مثلته الجلسة الثانية للمؤتمر فقد إنصبت الجهود فيه على إحياء الذكرى الألفية لوفاة الفيلسوف الاسلامي الكبير (أبو حامد الغزالي) .

وقد جاء البحث الأول بأنامل أبرز المتخصصين في فكر الغزالي بقسم الفلسفة في كليتنا وهو (أ . م . د . محمد محمود الكبيسي) ليكشف لنا عن رقعة جديدة في فلسفة الغزالي ببحثه الذي حمل عنوان (الابعاد الفلسفية للحب عند الغزالي) والذي تضمن آراء الغزالي في الحب انطلاقاً من تعريفه ومروراً بأصوله واسبابه وانتهاءً بابعاده الميتافيزيقية والمعرفية والجمالية والاخلاقية .

أما البحث الثاني فقد ركز فيه (أ . م . د. ياسين حسين الويسي) التدريسي بقسم الفلسفة في كليتنا، على مبحث الوجود عند الغزالي ولكن ليس بدراسته بطريقة تقليدية، وانما في البحث في اثر آراء الغزالي في هذا المبحث على فلاسفة المغرب.

ولأن ثقافة التفلسف تأبى المجاملات وتنشد الحق ولو على أصحابها، كان البحث الثالث في هذه الجلسة محاولة جادة ومتميزة للكشف عن تراث كلامي أُقصي فيما مضى لأسباب طائفية وسياسية عن دائرة الثقافة الكلامية، فكان معرضاً للتشويه أو السرقة للأسف الشديد، ذلك هو الفكر الكلامي الامامي الاثنى عشري وهذا هو ما قدم لنا نموذج من تراثه (أ . م . د رائد جبار كاظم) التدريسي بكليتنا، في بحثه الذي ناقش فيه كتابي توحيد المفضل للإمام الصادق (عليه السلام) و(الحكمة في مخلوقات الله) للغزالي في دراسة مقارنة، كاشفاً فيه عن مكنونات ذلك الارث الفكري الكبير، ومسدلاً الستار في الوقت ذاته عن سرقة فكرية مخجلة لأفكار ذلك الكتاب ودون الاشارة الى صاحبه لا من قريب ولا من بعيد .

أما المبحث الرابع فقد قدمه (الدكتور سامي محمود إبراهيم) تحت عنوان (تكامل المعرفة والوعي النقدي / دراسة تحليلية نقدية في آراء الغزالي الفلسفية) كان الهدف منه هو توضيح وتفسير كل من المعرفتين العقلية والنقلية عند الغزالي وبيان وحدة الهدف الكلامي والصوفي عنده ايضاً .

أما آخر البحوث التي ختمت بها هذه الجلسة فقد كان دراسة في واحد من أهم كتب الغزالي الكلامية والفلسفية وهو كتاب (المنقذ من الضلال) لبيان آراءه وابرز أفكاره فيه من جهة، وبيان موقفه من الفرق الكلامية والفلسفية الاخرى من جهة اخرى، وقد تعاون على تقديم هذه الدراسة كل من (د . رائد أمير عبد الله الراشد)

التدريسي في قسم الفلسفة في كلية الآداب بجامعة الموصل و (د . خالد عبد الجبار شيت) الراشد المدرس في التعليم الاسلامي في الموصل وهما ضيفان كان لهما حضور لافت في دراسات مؤتمرنا هذا .

ولكي تكتمل صورة المؤتمر بالشكل الذي يتطابق فيه مضمونه مع عنوانه، جائت الجلسة الثالثة أو المحور الثالث تعبيراً عن دراسات مهمة في طبيعيات وانسانيات الفلسفة المعاصرة وقد ابتدأت أعمال هذه الجلسة بمناقشة بحث تقدم به احد الباحثين المميزين في قسم الفلسفة في كليتنا، وهو (د . كريم الجاف) ناقش فيه الخطاب الفلسفي للفيلسوف الفرنسي المعاصر (ميرلوبونتي)، وهذا البحث في الأساس إنما هو بحث في إشكالية مهمة في فضاء الفلسفة المعاصرة وهي اشكالية العلاقة المعقدة فيما بين الوعي والعالم وطبيعة التواصل بينهما، هذه الاشكالية التي تتبدى على انحاء شتى منها الانطولوجي والابستمولوجي بل وحتى الأكسيولوجي .

بينما اشتغل البحث الثاني على موضوعة فلسفية مهمة ايضاً وهي مسألة التضايف والتواصل بين المنظومة الفلسفية والادبية التي انطلقت بوادرها مع الفلسفة الوجودية بل وقبل ذلك بكثير ليركز هنا (د . عامر جميل شامي) وهو باحث وأكاديمي من قسم الفلسفة في آداب الموصل، على هذا الموضوع في المدرسة التفكيكية ليبين لنا جوانبها التحليلية والنقدية .

وقد صب البحث الثالث في اتجاه مقارب لسابقه فكان بعنوان (تقنيات الخطاب الفلسفي المموه السرد الفلسفي في القصة) والذي تقدم به (د . جاسم بديوي) من (قسم الفلسفة في كلية الآداب / جامعة بغداد) ناقش فيه المواقف المتعارضة تجاه تناول الموضوعات الفكرية المختلفة في فضاء حقل واحد انطلاقاً من مشتركها الاساسي وهو الانسان وهمومه وقضاياه .

أما البحث الرابع والخامس، فقد سلطا الضوء على مدرسة فلسفية نقدية معاصرة مهمة جداً وهي مدرسة فرانكفورت، كان أولهما عن النقد الثقافي الذي تبنته المدرسة والذي اسس له (أريك فروم) هذا من جانب ومن جانب آخر تناول البحث الاسباب التي أدت الى تهميش الدور الكبير الذي لعبه (فروم) في هذا المجال، هذا التهميش والاقصاء الذي بدأت نواته وللأسف الشديد من أعضاء المعهد ذاتهم وبالأخص (هوركهايمر وأدورنو)، وقد تقدم بهذا البحث (د . قاسم جمعة) من قسم الفلسفة بكليتنا .

أما البحث الآخر وهو من عمل زميل آخر في قسمنا العزيز وهو باحث ممتاز أيضاً في الفلسفة المعاصرة هو (م . م . خضر دهو قاسم) وقد جاء بحثه بعنوان

(سوسيوسوجيا الثورة بين ماركس وماركوز) انطلاقاً من دافع الواقع العربي الثوري المعاصر ولتسليط الضوء على الانطلاقة المشتركة في تحليل اسباب الثورات بين ماركس وماركيوز وهي خبث قوانين الاقتصاد السياسي الرأسمالي مع بيان النتائج المختلفة التي توصل إليها كل منهما في هذا المجال .

بينما جاءت البحوث (السادس والثامن والعاشر والحادي عشر) على شكل دراسات غطت مساحة كبيرة في مجال مهم من مجالات الفلسفة في واقعنا المعاصر وهو مجال الفلسفة السياسية، اذ اشتغلت هذه البحوث على جملة من المفاهيم المعاصرة في هذا المجال كمفهوم السلطة ومفهوم السيادة، فكان البحث السادس (فكر الحداثة وتحولات اصل السلطة وشرعيتها في مدخليات وأصول الفلسفة السياسية المعاصرة) الذي تقدم به (د . علي عبود المحمداوي) من قسم الفلسفة في آداب بغداد، محاولة رائدة في مجالها من أجل رسم مسارات الأصول والجذور الحكائية للعقل الفلسفي .. السياسي المعاصر، التي ترتبط بالعصر الحديث وما أفرزه من نصيات تأملية (النظرة الكلاسيكية) وما إستدعته تلك النظرة من الدفع والسحب المتقابلين، بوصفهما رفضاً أو قبولاً لمنتج العصر الحديث / سياسياً، بدراسة نماذج مثلت التحولات الكبرى في السياسة الحداثوية، وهي كل من (مكيافيلي، هوبز، لوك، روسو، كانط، وهيجل) .

اما البحث الثامن (الفكر السياسي في عصر النهضة – نماذج مختارة) والذي قدمه (م . م مسلم حسن محمد) التدريسي في جامعة رابة رين – رانية من شمالنا الحبيب، فقد جاء تواصلاً مع البحث السادس، ليركز فيه الباحث على مميزات عصر النهضة التي أفرزت أفكاره السياسية الرئيسية والتي أصبحت فيما بعد منطلقات ومرتكزات اساسية للأفكار السياسية لعصر الحداثة، وقد تناول فيه الباحث شخصيات عملاقة في تلك الفترة وهم (ميكيافلي، ومارتن لوثر، وجون كالفن).

وقد جاء البحث العاشر بقلم باحث متخصص في الفلسفة السياسية من قسمنا العزيز وهو (م . م . محمد سماري الكعبي) تحت عنوان (مفهوم السيادة في الفلسفة السياسية الغربية الحديثة) ليبين لنا الباحث المعالم الرئيسة لمفهوم السيادة في مطلع هذا البحث انطلاقاً من جذوره التاريخية مروراً بأنواع السيادة، ثم حاول بعد ذلك ابراز جهود فيلسوف كان له دور كبير في إحياء هذا المفهوم في الفكر المعاصر وهو الفرنسي (جان بودان)، ليختم بحثه بدراسة العقد الاجتماعي عند هوبز وروسو ولوك وعلاقته بالقانون الطبيعي وعلاقتهما بمفهوم السيادة عند هوبز وروسو .

ثم جاء البحث الحادي عشر تحت عنوان (نقد النظام السلطوي وآليات التغيير عند غرامشي) بواسطة زميل عزيز في قسم الفلسفة بكليتنا وهو (م . م. حيدر ناظم محمد) ليختم به الدراسات السياسية المعاصرة في أعمال هذا المؤتمر، وقد حاول الباحث هنا ابراز ملامح شخصية غرامشي الثورية على النظم السلطوية والتي كونت شخصيته الفكرية المناهضة للانظمة الدكتاتورية والداعية الى إصلاح عالمي يضمن حقوق الافراد وحرياتهم، انطلاقاً من أبرز مؤلفاته وهو كتابه (دفاتر السجن) الذي يمثل عصارة أفكاره السياسية والثقافية .

ومن اجل اكتمال صورة اعمال مؤتمرنا هذا نعود الى الحديث عما فارقناه دون إهمال بكل تأكيد، وهنا نتحدث عن البحث السابع في هذا المحور الأخير وهو بحث تحرك صاحبه في مجال فلسفة التاريخ ليقدم لنا دراسة ممتازة عن السببية التاريخية في الفكر الغربي من أوغسطين الى هيجل، مروراً بالمفكرين المشتغلين على المجال ذاته وهم (بوسويه، فيكو، مونتسكيو، فولتير- تورغور، وهيردر) أي انه غطى مدة زمنية امتدت من القرن الخامس الميلادي وحتى أوائل القرن التاسع عشر، ومعلوم أن هذه المدة شهدت نشأة فلسفة التاريخ ثم تطورها حتى بلغت درجة عالية من النضج، وقد قدم هذا البحث (أ . م . د . جعفر حسن الشكرجي) من كلية الآداب / جامعة بابل .

أما البحث التاسع والذي قدمته باحثة متخصصة وممتازة في المنطق من قسمنا العزيز وهي (د . نضال ذاكر عذاب) فقد جاء تحت عنوان (المفهوم والماصدق في المنطق / دراسة تحليلية بمنظور تطوري) فقد تناولت فيه الباحثة بشكل مفصل وعميق هذين المفهومين بكل ما يتعلق بهما في المنطق الكلاسيكي أو المنطق المعاصر .

وقد جاء البحث الثالث عشر لمناقشة موضوع بالغ الأهمية في مجال الدراسات الاكاديمية المعاصرة، حمل هذا البحث عنوان (القضايا الفلسفية في الانثروبولوجيا الثقافية)، وقد تقدم به (د . ياس خضر عباس) من قسم الانثروبولوجيا التطبيقية بكليتنا.

يتجه البحث نحو بيان أهم القضايا الفلسفية في حقل الانثروبولوجيا الثقافية التي تمثل محور النقاشات المعاصرة للسلوك الانساني، إذ أن المراجعة لأدبيات الانثروبولوجيا الثقافية (الاجتماعية) وبنائها المعرفي وطبيعة مفهوماتها، وغاياتها والوسائل التي تحقق بها تلك الغايات، نجد فيها أن إمتدادها منصباً في مناقشة ثلاثة مسائل أو قضايا فلسفية وهي العقلانية، والنسبية، والعلاقة بينهما بوصفها هدفاً له .

أما الاهمية فتنصب في بيان ومناقشة التوجهات والدراسات الانثروبولوجية التي تعاملت مع السلوك الانساني وتبويبه فلسفياً .

ثم طُرقت أبواب فلسفة الفن المعاصرة في البحثين الرابع عشر والخامس عشر، تقدمت بأولهما وهو (فلسفة الفن في الواقع المعاصر) (د . سالي محسن لطيف) التدريسية في قسم الفلسفة بكليتنا، وقد بُحثَ فيه واقع الانسان المعاصر المحاط بالتقدم التكنولوجي والتراجع القيمي وغيره من سمات الحداثة وما بعدها، لتبين فيما بعد موقع الفن وفلسفته وواقع الحكم والتذوق الجمالي في خضم عصر كهذا .

أما الآخر وهو البحث الذي حمل عنوان (فلسفة الفن عند جون ديوي)، والذي تقدمت به (د . منتهى عبد جاسم) وهي ايضاً تدريسية في قسم الفلسفة بكليتنا، فقد إهتم بدراسة فلسفة الفن عند ديوي باعتبار الفن خبرة، لذلك ركز على التعريف بالمفاهيم الرئيسية والاساسية في هذا المجال .

أما البحث السادس عشر فقد تناول موضوعة مهمة في الفلسفة المعاصرة وحمل عنوان (الانبثاق والزمان) كنواة أولى للبحث في مجال فلسفة الانبثاق وخصائصها وكيف انها كانت علامة كبرى على خصوبة الوجود ومضاء الزمن وكرم الكينونة وقد تقدم بهذه الدراسة الضيف العزيز على قسمنا (أ . م . د . عباس حمزة جبر) من قسم الفلسفة في آداب واسط .

أما مسك الختام لهذا المحور الآخير ولأعمال المؤتمر الفلسفي بشكل عام، فهو دراسة مهمة جداً والتفاتة لطيفة قام بها (أ . م . د . صلاح الجابري) التدريسي في قسم الفلسفة في كلية الآداب جامعة بغداد، حين تناول هنا حاجة التعليم في العراق كما في أي بلد آخر، الى رؤية فلسفية ليؤكد في طيات بحثه كيف أن وضوح الاهداف التعليمية والتربوية انما يستمد من وضوح الرؤية الفلسفية التي نهتدي من خلالها الى رسم خطة ستراتيجية كمسار نحو المستقبل المتمثل بانجاز مجموعة من الأهداف المترابطة مع بعضها الى درجة تشكيل وجود إفتراضي مستقبلي، كما عمل ايضاً على بيان المسؤولية الواقعة على عاتق المشرعين والمربين وما الذي ينبغي عليهم فعله من أجل خلق طلبة مهيئين بطريقة أفضل للتفكير حول المستقبل بطريقة نقدية وإبداعية .

بشكل عام كان هذا البحث كفيلاً ببيان وتأشير المكانة التي يجب أن توضع فيها الفلسفة في مسار العملية التعليمية في العراق وما هي المشاكل والعوائق التي تمنع دون ذلك وغيره من المواضيع ذات العلاقة .